ضباط الجيش المصري وتردي الأحوال في مصر

ضباط الجيش وهموم الوطن

لم يكن ضباط الجيش بعيدين عما يجري في مصر بل كانوا ،كغيرهم من الموطنين المخلصين ، مشغولين بالحالة التي وصلت إليها البلاد ، وطريق الخلاص من تردي الأوضاع.

يقول جمال منصور الذي ابتدع اسم " الضباط الأحرار " وكتب أول منشور موقَّع به : " كنا نعيش فترة عصيبة من الزمان عاشها كل شباب مصر . كان البلد يغلي بكل التيارات المتصارعة ، وكان إطار السلطة السياسية الحاكمة – الإنجليز ، والقصر ، والأحزاب السياسية – والنظام الاجتماعي يتمزقان بعنف فوق صخرة الأمواج الصاخبة غير قادرين على الحل ولا الخروج من الدوامة ولا مواجهة المستقبل ، الأمر الذي كان لا مفر معه من الانهيار . ومازلت أذكر حينما كنا نهرع في صباح الاثنين إلى بائع الصحف لكي نحصل على نسخة من مجلة " روز اليوسف " لنقرأ الصفحات الأولى من المجلة وبها مقالة إحسان عبد القدوس الناقدة للأوضاع في البلاد بكل جرأة وشجاعة .. ثم ظهرت جريدة الاشتراكي التي كان أحمد حسين يكتب فيها مقالاً بالصور وعلى اتساع الصفحتين وفي قلب الجريدة كنا نجد صوراً متعددة تعبر عن البؤس والعري والحرمان ، صوراً للطبقة العريضة من شعب مصر وأبنائه وأطفاله ، صوراً ناطقة بجوع البطون وجفاف الحلوق وأحاطت كل هذه الصور بكلمتين في عبارة واحدة " رعاياك يا مولاي ".

لقد عشنا تلك الفترة التي شاهدت قمة الفساد لملك البلاد . الملك الذي حكم بالسلطة المطلقة فكانت المفسدة المطلقة ، والأحزاب التي كانت تتناحر فيما بينها رغبة في الحكم وسلطانه وكراسيه . وأحسسنا بغياب أبسط ملامح العدالة الاجتماعية ، والهوة السحيقة التي تفصل بين فئة محدودة تملك كل شيء وطبقة عريضة لا تملك أي شيء . فكان نصف في المائة من المصريين يملكون تسعين في المائة من الأرض الاجتماعية ، وكانت العائلة المالكة وحدها تملك ما يقرب من نصف مليون فدان " [1]

أين السبيل ؟

بدأ طوفان من الأسئلة يغزو رءوس هؤلاء الضباط الوطنيين صغار السن ، كيف أساعد في إصلاح هذا الفساد ؟ وأي طريق أسلك لأصل إلى تحقيق أهدافي ؟ هل أنضم لحزب من الأحزاب ؟ أم ألجأ إلى تنظم من التنظيمات السرية ؟

لقد استنفدت الأحزاب الموجودة كل مقوماتها ، ولم يعد يرجى منها إصلاح لذا بدأ هؤلاء الضباط في الانضمام إلى هذه التنظيمات لعلهم يجدون عندها الإجابة عن تلك الأسئلة.

وفي حين وجد الضباط في تلك الجماعات التنظيم الذي تفتقر إليه قوتهم وجدت هذه الجماعات في هؤلاء الضباط القوة التي تنقص تنظيمهم ، ومن هنا جاء انضمام الضباط إلى هذه التنظيمات سرية التي زاد نشاطها مع تردي أحوال البلاد.

([1]) جمال منصور " في الثورة والدبلوماسية " مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ١٢ ، ١٣ .

يقول عبد اللطيف البغدادي (عضو مجلس قيادة الثورة) : " كنا نحن ضباط الجيش عندما نناقش أحوال بلادنا، وما وصل إليه حالنا باحثين ومنقبين عن مخرج لنا مما نحن فيه لكسر تلك الحلقة الفولاذية، التي كانت مضروبة حول شعبنا، لا نجد أمامنا من سبيل ولا طريق لكسر تلك الحلقة إلا بتفجير ثورة قادرة على تغير هذا الهيكل كله من أساسه، تغييراً سياسيّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً: وقادراً قبل كل شيء على التصدي للاستعمار الذي كان لا يزال رابضاً على أرض وطننا والعمل على تصفيته وإنهائه. لأن استمرار وجوده يضيع أملنا المنشود في التغيير لأنه سيقف عقبة في طريقه وسيتصدى له ".

ولم يكن هناك ، في ذلك الوقت ، منظمات وقوى سياسية قائمة لديها نظرة ضباط الجيش الوطنيين إلى الأوضاع القائمة في البلاد، غير جماعة الإخوان المسلمين وحزب مصر الفتاة ومنظمات أخرى، كالجناح اليساري من حزب الوفد والمنظمات الشيوعية المختلفة المتصارعة مع بعضها في ذلك الحين. ولم تكن تلك المنظمات تملك القوة ولا القدرة على القيام بهذه المهمة دون أن يساندها الجيش، أما باقي الأحزاب الأخرى السياسية في مصر فكانت على قمة السلطة فيها الباشاوات أصحاب الإقطاعيات الزراعية والأملاك الواسعة، وكانوا هم سعداء بما هم فيه من يسر في الحياة ولا يفكرون فيما وصل إليه حال مصر.

كان الجيش في عام ١٩٤٩ جريحاً ومطعوناً من أثر الهزيمة في حرب فلسطين. إضافة إلى ضعف تيار العمل السياسي في تنظيماته؛ فقد عجز تنظيم الحرس الحديدي عن إيجاد دوافع جديدة للاغتيال، خاصة أن حادث ٤ فبراير

١٩٤٢ كان قد ضعف أثره، بعد نجاح وزارة الوفد في الانتخابات نجاحاً كبيراً معبراً عن تأييد شعبي جارف، وهكذا توقفت حركة الحرس الحديدي . [١]

***

[1] خالد بن سلطان بن عبد العزيز موسوعة "مقاتل من الصحراء " على شبكة المعلومات الإلكترونية .البحث الخاص بثورة ٢٣ يوليو الفصل الثالث (الضباط الأحرار).